الوليد الثاني- يزيد الثالث- مروان الثاني

الوليد بن يزيد الوليد الثاني (١٢٥ - ١٢٦هـ/ ٧٤٣ - ٧٤٤م)

التعريف بالوليد الثاني

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الأموي الدمشقي. بويع له بالخلافة وهو بدمشق بعد وفاة عمه هشام بعشرة أيام. نشأ الوليد نشأة عابثة وتبالغ بعض المصادر في وصف سلوكه السيء في حين تنفي بعض المصادر الأخرى عنه ذلك وتصفه بالخليفة المجمع عليه .

ويبدو أن وراء حملة التشهير التي تعرّض لها أهدافاً سياسية. فقد استغل عمه هشام ما اشتهر به من العبث فسهل له سبل اللهو والمجون آملاً

- أن ينساق في هذا المسلك وينشغل عن المطالبة بالخلافة .
- إيغار صدور الناس عليه بتكوين رأي عام معارض .
- أن يجره هذا الانسياق في سلوكية مذمومة، تبرّر خلعه من ولاية العهد، بفعل أن هشاماً أراد أن يكون الأمر من بعده لابنه ،مسلمة، وقد صادف هذا الأمر هوى في نفس الوليد الذي كان ممن يحبون اللهو ويلاحظ أن الحملة التشهيرية ضده بدأت في أثناء خلافة عمه هشام، في الوقت الذي كان هو ولياً للعهد ورفض طلب عمه أن يتنازل عن ولاية العهد لصالح ابنه مسلمة .

ونتيجة للضغط الذي تعرّض له، خرج الوليد من دمشق، ونزل قصر الأزرق في الصحراء. ولم يزل مقيماً فيه حتى توفي هشام ".

أعمال الوليد الثاني - نهايته

أراد الوليد الثاني أن يجعل عهده مناقضاً لعهد عمه، لذلك استهله بزيادة أعطيات الجند، وساعده على ذلك وفرة الأموال التي تركها هشام، فاستغلها في عمل الخير وسار في الناس سيرة حسنة فأمر بإعطاء خادم لكل من الزمنى والمجذومين والعميان، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعيال المسلمين، وزاد في أعطيات الناس لا سيما أهل الشام والوفود ، وكان كريماً جواداً معطاءً.

ورغم هذه السيرة الحسنة ظل الوليد الثاني على سياسته العدائية تجاه أبناء عمه وتجاه بعض الولاة ذوي العصبية في الدولة فانتقم من كل من أعان هشاماً عليه وبصفة خاصة أبناء هشام أنفسهم. فقد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته، ونفاه إلى عمان فحبسه فيها ، كما سجن الأفقم وهو يزيد بن هشام وبايع لولديه الحكم وعثمان لولاية العهد وكانا دون البلوغ .

وكان للعصبية القبلية دور بارز في تكوين رأي عام معارض ضده وهو القيسي الاتجاه والسلوك . فقد انتقم من خالد بن عبد الله القسري الذي ساندته القوى اليمنية، فسلمه إلى يوسف بن عمر الثقفي، الرجل الأكثر انسجاماً مع أفكاره وتوجهاته، فقبض عليه وحاكمه ثم أعدمه في الحيرة، فأوغر بذلك صدور اليمنية عليه، وكانوا يشكلون قوة كبيرة في الشام وخراسان، فانضموا إلى يزيد بن الوليد الأول ووقفوا خلفه يحرضونه على الثورة.

وخرج في عهد الوليد الثاني يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بالجوزجان من بلاد خراسان في عام ١٢٥ هـ / ٧٤٣م حاملاً شعار إنكار الظلم الذي وقع على الناس وما شملهم من الجور والاستبداد فسيَّر إليه والي خراسان، نصر بن سيار، سلم بن احوز المازني، فطارده حتى قتله عند الأنبار.

وسرعان ما اندلعت الثورة ضد الوليد الثاني في دمشق، بزعامة يزيد بن الوليد بن عبد الملك وساندته اليمنية بكل ثقلها، وبدا الصراع وكأنه قبلي .

وأدرك بعض أبناء الأسرة الأموية خطورة الوضع وما ينطوي عليه من كوارث قد تؤدي بالبيت الحاكم إلى الزوال، فحاولوا إيقاف التدهور، أو الحد من خطورته، إلا أنهم فشلوا في ذلك، مما دفع العباس بن الوليد بن عبد الملك إلى التعبير عن إدراكه العميق لحجم الكارثة فقال : يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم .

وزحف يزيد على دمشق واستولى عليها وأعد جيشاً بقيادة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لقتال الوليد الثاني، وكان متحصناً في البخراء على حدود تدمر، وتمكن هذا الجيش من اقتحام الحصن وقتل الخليفة.

والواقع أن هذه الأحداث، شكلت بداية النهاية للحكم الأموي، بفعل انقسام البيت الأموي على نفسه، وفقدانه تأييد كتلة عربية كان لها دور كبير في تأسيس دولة الخلافة الأموية، وهم عرب اليمن في الشام وخراسان الذين ساندوا الثورة العباسية .

يزيد بن الوليد الأول: يزيد الثالث(١٢٦هـ/ ٧٤٤م)

التعريف بيزيد الثالث

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد، أمير المؤمنين . بويع له بالخلافة في بادئ الأمر في قرية المزة من قرى دمشق، ثم دخل هذه المدينة منتصراً وغلب عليها، وأرسل جيشاً اصطدم بابن عمه الوليد الثاني وقتله، واستحوذ على الخلافة في (أواخر جمادى

الآخـرة عــام ١٢٦هـ/ شهر آذار عام ٧٤٤ م) ، وخطب الناس مبرراً قتل الخليفة وشارحاً نهجه في الحكم.

أظهر يزيد الثالث التقوى خلال حكمه، وتشبه بعمر بن عبد العزيز وسمي بالناقص لأنه أنقص أعطيات الجند والناس ما زاده الوليد الثاني، معتقداً بأنها مرتفعة، وأكثر مما يستطيع بيت المال تحملها ؛ وردها إلى ما كانت عليه في عهد هشام.

الأوضاع العامة في عهد يزيد الثالث

تعد الأوضاع العامة للخلافة أثناء ولاية يزيد الثالث، استمراراً لفاتحة الاضطرابات، التي ابتدأت على إثر مقتل الوليد الثاني، والتي أدت إلى تصدع بني أمية، ومن ثم زوال دولتهم .

وقد مرت أحداث عهده في مرحلتين متميزتين : تضمنت المرحلة الأولى أحداث ذيول مقتل الوليد الثاني، وما أثارته من ردود فعل داخل البيت الأموي، في حين تضمنت المرحلة الثانية صدى لأحداث التغييرات في المناصب الإدارية وما كان لها من آثار سلبية على مسيرة الحكم من جهة، وانعكاسات سيئة على الأوضاع الداخلية، من جهة أخرى.

والواقع أن يزيد الثالث لم يكن الشخصية التي يجتمع حولها كافة أفراد البيت الأموي. ويبدو أن عدم وجود مثل هذه الشخصية، بالإضافة إلى تفشي روح الفردية كانا من الأسباب البارزة في استمرار الصراع.

ما إن اعتلى يزيد الثالث سدة الخلافة حتى قامت المعارضة العنيفة في وجهه وتزعمها أبناء عمومته، فقد خرج عليه سليمان بن هشام بعد أن فر من سجنه، وجاء إلى دمشق حيث راح يهاجم الخليفة ويلعنه وينعته بالكافر.

وخرجت الأقاليم على خلافته فقد خرج أهل حمص ليأخذوا بثار الوليد الثاني، ورفضوا بيعة الخليفة، وانضم إليهم يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية، وأبو محمد السفياني الذي بايعوه بالخلافة، وقرروا الزحف على دمشق، لكن الخليفة كان الأسرع إلى التحرك، ونجح في التصدي لأهل حمص، وأجبرهم على الخضوع والبيعة له.

وقبض على الأميرين الأمويين وساقهما إلى دمشق وسجنهما.

وواجه يزيد الثالث حركة أخرى قام بها أهل فلسطين الذين بايعوا يزيد بن سليمان بن عبد الملك، كما خرج أهل الأردن الذين بايعوا محمد بن عبد الملك، إلا أن الخليفة تمكن من إخضاع الثائرين.

وهكذا زاد مقتل الوليد الثاني في اشتعال حدة الصراع بين أفراد البيت الأموي، وكان من المستحيل رأب الصدع الذي أخذ يتسع في الجسم الأموي .

وعمد يزيد الثالث، بعد أن تولى الحكم إلى عزل الولاة الذين عينهم عم هشام، وولى عمالاً يثق بهم. فقد عزل يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جمهور، مبرراً إقدامه على هذه الخطوة بأنه يريد للعراق حاكماً ذا دين وخلق ليقيم عمه العدل ويرفع الظلم عن الناس .وقد أثار هذا التغيير ردود فعل معترضة من بعض أتباع الخليفة مثل يزيد بن حجرة الغساني، كما حاول الوالي المعزول إثارة.

الاضطرابات ضد الخليفة عن طريق إثارة القبائل ضد بعضها البعض، إلا أنه فشل في ذلك وغادر العراق إلى البلقاء . وأراد يزيد الثالث أن يبسط سلطانه على الأقاليم البعيدة في المشرق، لاسيما خراسان و السند و سجستان، فامتنع عليه نصر بن سيارحاكم خراسان الذي راودته فكرة الاستقلال عن الحكم المركزي وبايعه أتباعه. وأخفق والي العراق منصور بن جمهور في ترويضه .

واشتد في هذا الوقت أمر مروان بن محمد حاكم الجزيرة وأذربيجان وأرمينيا، الذي رفض في بادىء الأمر الاعتراف بالخليفة الجديد، ثم دخل معه في مفاوضات للتفاهم على أمر الخلافة وولاية العهد. ولما أوشك الرجلان على الاتفاق توفي يزيد فجأة في (شهر ذي الحجة عام ١٢٦ هـ / شهر أيلول عام ٧٤٤ م)، وقام بالأمر بعده أخوه إبراهيم بن الوليد. إلا أن الأمر لم يستقم له ، فكان تارة يسلم عليه بالخلافة وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحد منها.

وكان من الطبيعي أن يرفض مروان بن محمد، المتطلع نحو الخلافة، الاعتراف بخلافة إبراهيم، وأعلن تأييده لولدي الوليد الثاني الحكم وعثمان. وقد اعتمد إبراهيم في صراعه مع مروان على مساندة اليمنية له في حين تلقّى مروان مساعدة القيسية، وهذا سبب كاف لتأجج العداوة بينهما.

وراح مروان، بما عرف عنه من سرعة وحزم في الأمور، يزحف على دمشق من حزان على رأس قواته . واستولى، أثناء ،زحفه على قنسرين وحمص واصطدم بجيش أرسله الخليفة للتصدي له في عنجر بين بعلبك ودمشق، وانتصر عليه. وفرّ إبراهيم من دمشق عندما بلغه نتيجة المعركة، وقتل قبل فراره الحكم وعثمان ولدي الوليد الثاني حتى لا يتخذهما مروان ذريعة للاستيلاء

على السلطة باسميهما، لكن هذا الأخير دخل دمشق ظافراً في عام (١٢٧) هـ (٧٤٥)م وبايعه الناس بالخلافة .

مروان بن محمد الجعدي: مروان الثاني (١٢٧-١٣٢ هـ / ٧٤٤-٧٥٠م)

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية بويع له بالخلافة بعد رفاة يزيد الثالث ، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد واستقر له الأمر في منتصف شهر صفر عام ١٢٧ هـ شهر تشرين الأول عام ٧٤٤ م . وعُرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. كان صبوراً يصل السير بالسير في محاربة الخارجين عليه .

يعد مروان الثاني من فرسان بني أمية وشجعناهم. ورغم ما تمتَّع به من إقدام وسداد رأي، إلا أن الظروف شاءت أن تكون نهاية دولة الخلافة الأموية في عهده، وقد لا يكون هو المسؤول عن ذلك، بفعل أن العوامل التي أدت إلى إضعافها وزوالها كانت تفاعل منذ زمن بعيد، وكان قدره أن يصارع تلك الأحداث الجسام التي كانت تعمل ضده.

الأوضاع السياسية في عهد مروان الثاني

أصبح الحكم الأموي بعد مقتل الوليد الثاني يستند على جماعات متنافرة ليس لها هدف يجمعها ويوحد كلمتها. ووجدت في المجتمع الإسلامي تيارات متعددة يرتبط كل منها بفئة أموية، أو يقف موقف المعارض استناداً إلى مصالحه الدنيوية .وطبيعي، نتيجة ذلك، أن تضعف القاعدة وتتفكَّك ويضطرب رأس الهرم، وتعم الفوضى العاصمة المركزية وعواصم الأطراف. في ظل هذه الأجواء وجد الناقمون على بني أمية، والثائرون على حكمهم والمتآمرون على البيت الأموي، الذين يتهيؤون لانتزاع السلطة منهم، أن الفرصة مؤاتية لإنزال الضربة القاضية لهذه الأسرة الأموية المفككة والمتناحرة فيما بينها.

وهكذا كثرت الاضطرابات وعمت الفتن الأطراف، وظهر المغامرون وطلاب الثروة والجاه، يريدون أن يحققوا ما عجزوا عن تحقيقه حين كانت الدولة متماسكة.

فجماعة العباسيين الذين أخذوا يتحينون الفرص لتوسيع رقعة دعوتهم والتهيؤ للانقضاض على الدولة الأموية الممزقة، وجماعة الشيعة والخوارج، وبعض القوى القبلية المتربصة بالحكم الأموي، تتحين الفرصة للوثوب، وخلع الطاعة، واستلام الحكم، ومن العوامل التي هيأت الجو لقيام

الثورات على حكم مروان الثاني نقل العاصمة، والصراع على السلطة، بين أفراد البيت الأموي، والنزاع القبلي.

والحقيقة أنه بعد أن تم الأمر لمروان الثاني واستقر له الحكم في بلاد الشام، أقام بحران وجعلها حاضرته، وهذا طبيعي بفعل نشأته فيها في ظل غلبة القيسية . وقد أدى ذلك إلى انحراف اليمنية عنه، وانضمامهم إلى الدعوة العباسية. وقد أساء نقل العاصمة من دمشق إلى حرّان إلى أهل الشام عامة، إذ شعروا بأنهم خسروا المركز الممتاز لدمشق، وما كان يجره ذلك من خيرات تتدفق عليهم، لذا عمت النقمة بلاد الشام، كان مروان متعصباً لأمويته، وحاول جاهداً أن يتلافى الخلل والاحتفاظ ببقاء الحكم في أسرته، فبايع لابنيه عبيد الله وعبد الله ، وحرص على تلاحم مختلف الفئات الأموية، فزوج ولديه من ابنتي عبد الملك، لكن الصراع داخل البيت الأموي قد بلغ حداً مما لا ينفع معه علاج .

اعتمد مروان الثاني على القيسية لأنه قام أساساً يطالب بدم الوليد الثاني، كما أن الجزيرة، مستقر ولايته كانت معقل القيسيين فاعتبرت القبائل اليمنية, التي ألفت وجود حلفائها في السلطة، ذلك تحدياً، مما دفعها للقيام بانتفاضات ضد السلطة خاصة في فلسطين. وتكمن خطورة هذا الانقسام القبلي الذي قام في ذلك الوقت، في أنه حدث في قلب الدولة الأموية في دمشق. ولهذا كان الاضطراب في بلاد الشام إيذاناً باضطراب أمر الدولة كلها. وكان من الطبيعي أن يواجه مروان التحدي بمثله، إلا أنهحاول في بادئ الأمر، أن يهدئ الخواطر، وأن يبعث الثقة في النفوس ، باسترضاء مظهراً بذلك مرونة سياسية، إلا أن الأوضاع السيئة وصلت إلى نقطة اللاعودة وكان العربية المختلفة، ، كما أظهر حسن نية تجاههم بأن ترك لهم اختيار ولاتهم مظهراً بذلك مرونة سياسته , إلا أن الأوضاع السيئة وصلت الى نقطة اللّاعودة, وكان على مروان الثاني أن يدفع ثمن أخطاء من سبقه من الحكام .

خروج أهل حمص

كان أهل حمص قد بايعوا مروان الثاني وساروا معه إلى دمشق، إلا أنهم حمص خرجوا على حكمه بعد ذلك . والراجح أن خلافات شخصية هي التي فجرت حركتهم، ذلك أن ثابت بن نعيم الجذامي، أحد القادة المسلمين، كان على خلاف مع مروان منذ ان كان هذا والياً على أرمينيا، فلما ولي الخلافة اختار أهل فلسطين ثابتاً هذا والياً عليهم واعترف به الخليفة تنفيذاً لسياسته الانفتاحية. ويبدو أن الخلاف ظل محتدماً بين الرجلين، فسعى ثابت إلى استقطاب اليمنية في حمص، الذين

وقفوا ضد مروان الثاني، ثم تزعمهم وأعلن خروجه واستنجد أهل حمص بالكلبيين في تدمر، فأمدوهم بقوة عسكرية .

حاول مروان الثاني، في بادئ الأمر ، إصلاح الأحوال بالطرق السلمية، إلا أن أهل حمص لم يرتدعوا عندئذٍ اضطر الخليفة أن يخرج بنفسه لوضع حد لحركتهم. وكانت له مع الحمصيين وقائع حاسمة انتصر فيها عليهم، وهدم أسوار مدينتهم .

خروج أهل الغوطة

في الوقت الذي كان فيه مروان الثاني منهمكاً في إخماد حركة أهل حمص، قامت حركة أخرى ضد حكمه في الغوطة، وقد ولى أهلها عليهم زعيماً يمنياً هو يزيد بن خالد القسري، وحاصر الخارجون مدينة دمشق، إلا أن مروان الثاني تمكن من فك الحصار عن المدينة، وطارد الثائرين وأحرق المزة وقرى اليمانية وقتل يزيد بن خالد.

خروج أهل فلسطين

تعد الانتفاضة التي قامت في فلسطين ضد حكم مروان الثاني من أخطر الحركات المناهضة التي شهدها حكم هذا الخليفة. والواقع أن ثابت بن نعيم الجذامي استمر في عداوته لمروان وراح يحرّض قرى بلاد الشام على نبذ طاعته ، ثم تمادى في معارضته حتى خلعه وقاد أهل فلسطين في حركة ضد النظام الأموي .

تحرك مروان الثاني بسرعة وعاجل ثابت بقوة عسكرية بقيادة أبي الورد بن الكوثر الذي تمكن من القضاء على الثورة، ووقع ثابت في أسر والي فلسطين الذي عينه مروان الثاني، فأرسله إلى الخليفة حيث قتله .

الاضطرابات في العراق

أ ـ حركات الخوارج

إذا كانت بلاد الشام قد رفعت راية العصيان ضد حكم مروان الثاني، فطبيعي أن تقوم في العراق حركات أشد خطراً، خاصة وأنه الإقليم الأكثر تشنجاً من الحكم الأموي، منذ أن أصبحت بلاد الشام مركز السلطان واشتهر العراق بأنه مركز الشيعة والحركة الخوارجية، وتستعر في نفوس أهله عصبية إقليمية غدت بموجبها الهوية العراقية، منطلقاً لتطرف لا حدود له ضد كل نزعة شامية .

ووجد الخوارج في تصدع بني أمية فرصة للانتفاضة على الحكم الأموي، وتوجيه ضربة قاسية إلى مروان الثاني قد تنهي حكم أسرة طالما مقتوها وأرادوا التخلص منها، وتميزت حركتهم في هذه الفترة بالشمولية . فبعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم، أضحوا الآن يقاتلون بأعداد جماهيرية كبيرة .

وتعددت حركاتهم بعد مقتل الخليفة الوليد الثاني في عام (١٣٦هـ/ ٧٤٤ م) كان مسرحها العراق وشبه الجزيرة العربية، حيث دخلوا الكوفة، واستولوا على البصرة، وعلى حضرموت إلا أن مروان تصدى لهم وهزمهم في أكثر من معركة في نواحي كفرتوثا من أعمال ماردين، وفي عين التمر، وفي جيرفت، وفي وادي القرى شمالي الشام، وتغلب عليهم واجلاهم عن العراق واستعاد سيطرته على الحجاز واليمن.

ب ـ الحركات العلوية

تزعم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفرآخر حركة قام بها الشيعة ضد الدولة الأموية، وانضم إليه شيعة الكوفة وبايعوه بالخلافة، وخرج في شهر محرم من عام ١٢٧ هـ / شهر تشرين الأول عام ٧٤٤ م) لقتال أهل الشام في الحيرة .

ويبدو أن الشيعة خذلوه عندما نشب القتال، وفروا من أرض المعركة، ولم يثبت معه سوى ربيعة والزيدية، فاضطر للتراجع إلى الكوفة، وتبعه الأمويون. وشهدت شوارع المدينة مجابهات عنيفة بين الطرفين. وتمكن الجيش من السيطرة على الموقف ومنحه الوالي الأموي، عبد الله بن معاوية الأمان والإذن بالانسحاب، فارتحل إلى فارس حيث أعاد تنظيم صفوف قواته وقوي أمره بما انضم إليه من الموالي والعبيد والعباسيين الثائرين على الحكم الأموي والأمويين الناقمين على مروان الثاني، وكل طامع في عطية أو وظيفة، وبقايا الخوارج الذين طردهم مروان الثاني من الموصل.

ويبدو أن هذا الحشد الذي التفَّ حوله كان غير متجانس، وواضح أن هدفه تشكيل جبهة مقاومة لا يجمعها إلا العداء لمروان الثاني . لذلك لم يتم له الاستمرار طويلاً، وسرعان ما انفرط عقده على إثر الهزيمة القاسية التي مني بها أمام قوات مروان الثاني عند مرو الشاذان في نهاية عام ١٢٩هـ/ ٧٤٧م، وانهارت آمال عبد الله وتطلعاته وفر إلى سجستان وبلغ هراة آملاً أن يجد نصيراً في أبي مسلم ، لكن هذا الأخير قبض عليه وقتله.

الحركات الأموية الداخلية

حركة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز:

يبدو أن الفوضى التي آلت إليها أوضاع الأسرة الأموية حركت المطامع في نفوس أفرادها، ووجد كل منهم نفسه صاحب حق في هذا الأمر، كان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على العراق ومركزه الكوفة. والراجح أنه كان ذا نزعات استقلالية، إذ بعد تغلبه على عبد الله بن معاوية، أضحى له من السلطان والقوة ما بدا له أن باستطاعته الانتفاضة على حكم مروان الثاني. فنقض بيعته له، وقد اعتمد في تحركه على القبائل اليمنية من أهل الشام المقيمين في الكوفة والحيرة الذين ساءهم خضوع الشام للنفوذ القيسي الم يعر مروان الثاني هذه الانتفاضة التفاتة جدية، في بادئ الأمر، فترك عبد الله بن عمر وشأنه لاعتقاده بأنه لا يشكل خطراً كبيراً على وضعه، ولكن حين بداله أن مطامع واليه السابق على العراق قد وصلت إلى حد الخطر بما توافر له من القوة والمنعة، والنية في التوسع قام لمواجهته وبعث إليه بجيش من الشام بقيادة النضر بن سعيد الحرشي، أحد رجالات قيس المشهورين فاصطدم به، ودارت بين القوتين معارك هي إلى المناوشات الخفيفة أقرب لم تؤد إلى نتيجة حاسمة وظل الفريقان على هذه الحال حتى ظهرت مشكلة أكثر خطورة، تمثلت بالخوارج الذين برزوا مجدداً على مسرح الأحداث في العراق. وانهمك مروان الثاني في التصدي لهم. وترك أمر عبد الله بن عمر .

حركة سليمان بن هشام بن عبد الملك:

استهل سليمان حركته المضادة لمروان الثاني حين أرسله إبراهيم بن الوليد على رأس قوة عسكرية لوقف تقدمه عند عين الجر، إلا أنه خسر المعركة، ونقله مروان الثاني، بعد أن تسلم الحكم إلى حزان مع بعض وجوه بني أمية)، ولعله أراد أن يظهر لأهل الشام وحدة الصف الأموي، لكن العداوة كانت شديدة، ولم تنفع هذه التظاهرة برأب الصدع بدليل أنه عندما نشبت الثورة في العراق ضد حكمه انتدب الناس إلى المسير معه، وكان سليمان ممن خرج، فلما وصل إلى الرقة طلب من الخليفة أن يقيم أياماً ليتقوى ثم يلحق به فأذن له ويبدو أنه نشق مع القوة الشامية التي رافقته، فدعاء الجند إلى خلع مروان ومبايعته بالخلافة على أن يترأسهم لحربه بحجة أنه أرضى عند أهل الشام من مروان، فقبل عرضهم وخرج بأخوته وولده ومواليه وسار مع رجاله فاستولى على قنسرين، وصادفت دعوته قبولاً في دمشق واجتمع تحت رايته جند غفير وعسكر في قرية قرب دمشق، ونفّذ غارات على مؤخرة جيش الخليفة، فتصدى له هذا الأخير قرب قنسرين وانتصر عليه، وفر سليمان بن هشام مع من تبقى من جنده إلى حمص ثم إلى تدمر ومنها إلى الكوفة حيث انضم إلى حركة الضحاك الخارجي ولا شك بأن عصيان سليمان بن هشام وانضمام فئات من أهل الشام إليه وقيام اضطرابات في بعض مدن الشام كلها مؤشرات واضحة على الحالة المتردية التي آلت إليها وحدة

الأسرة الأموية، وإلى خطورة هذا الصراع الذي استمر بين أفرادها بشكل لا يبرره سوى المطامع الشخصية.

نهاية مروان الثاني.

الواقع أن انهماك مروان الثاني في إخماد الثورات والفتن شغله عن الاهتمام بما كان يجري في المشرق خاصة في خراسان التي كانت مركزاً للدعوة العباسية. وقد انتشرت في ا المنطقة انتشاراً واسعاً، واستقامت الأمور فيها لبني العباس، مما أدى إلى اقتناع الدعاة العباسيين بأن الوقت قد حان للجهر بها، وفعلا حصل هؤلاء الدعاة على موافقة إبراهيم الإمام، الذي كان يعيش في الحميمة على الجهر بالدعوة والخروج على الأمويين. وقد تولى أبو مسلم الخراساني، الذي أضحى رئيساً للدعوة في خراسان، أخذ البيعة تحت شعار البيعة إلى الرضا من آل محمد

ـ أدرك نصر بن سيار عامل مروان على خراسان، ما يشكله أبو مسلم من خطر على الدولة الأموية، فبعث برسالة عاجلة إلى دمشق يشرح فيها حالة الفوضى التي سادت خراسان، وخطر أبي مسلم الذي كان يتزايد يوماً بعد يوم، ويطلب مدداً من الخليفة الواقع أن انهماك مروان الثاني في إخماد الثورات والفتن شغله عن الاهتمام بما كان يجري في المشرق خاصة في خراسان التي كانت مركزاً للدعوة العباسية. وقد انتشرت في المنطقة انتشاراً واسعاً، واستقامت الأمور فيها لبني العباس، مما أدى إلى اقتناع الدعاة العباسيين بأن الوقت قد حان للجهر بها. وفعلاً حصل هؤلاء الدعاة على موافقة إبراهيم الإمام الذي كان يعيش في الحميمة على الجهر بالدعوة والخروج على الأمويين. وقد تولى أبو مسلم الخراساني، الذي أضحى رئيساً للدعوة في خراسان، أخذ البيعة تحت شعار البيعة إلى الرضا من آل محمد ويبدو أن مروان كان عاجزاً، آنذاك، عن إجابة طلب واليه، ولم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أن يمنيه بالوعود ويزوده بالنصائح مما أتاح لأبي مسلم السيطرة التامة على خراسان، ولم يتمكن نصر من الصمود أمامه فتقهقر إلى نيسابور ومعه أنصاره من العرب الذين هربوا من خراسان ثم حدث أن انتقلت القيادة العباسية العليا في العراق إلى قحطبة بن شبيب الطائي وهو عربي، الذي سارع إلى الاصطدام بقوات نصر وتغلب عليها وأجبر نصراً على ترك نيسابور حيث قصد الري، وفيها وانته الإمدادات التي بعثت بها الخلافة بعد أن أدركت خطورة الوضع، وضرورة مساندة صمود ،نصر فابتدأت بذلك جولة أخرى من الاصطدامات كان النصر فيها حليف القوات العباسية ومات نصر بن سيار بالري في شتاء عام (١٣١) هـ (٧٤٨ م) بعد وقعة أصفهان في جو الهزيمة القاتم.

ثم اتجه قحطبة نحو العراق ليصطدم بالقوات الأموية بقيادة ابن هبيرة، والي مروان على العراق، وتغلب عليها وهم بدخول الكوفة إلا أنه غرق وهو يغير نهر الأول الفرات ودخلت القوات العباسية المدينة بقيادة حميد بن قحطبة في شهر ربيع عام ١٣٢ هـ شهر تشرين الأول عام ٧٤٩م وسلم الأمر إلى أبي سلمة الخلال الذي اضحي وزير آل محمد .

وبويع في الكوفة لعبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بأبي العباس، وقد كان أخوه إبراهيم الإمام قد عهد إليه بأمر الدعوة عندما قضى عليه مروان الثاني آنذاك بعد ما افتضح أمره؛ ليصبح أول خليفة عباسي.

وبعد أن تم له الأمر في العراق أرسل جيشاً، بقيادة عمه عبد الله بن علي، التقى بجيش مروان الثاني على نهر الزاب وهو أحد فروع نهر دجلة. وكانت الانتصارات التي حققتها الثورة، حتى ذلك التاريخ، قد أضعفت معنويات الجيش الأموي، فأحجمت بعض وحداته عن خوض المعركة ومنها الوحدات اليمنية، ربما بدافع العصبية من جهة ومن التأخير في دفع مرتبات الجند من جهة أخرى، وعصت هذه الوحدات أوامر مروان في تلك اللحظة الحرجة .

ودارت بين الجيشين الأموي والعباسي رحى معركة عنيفة في (شهر جمادى الآخرة عام ١٣٢هـ شهر كانون الثاني عام ٧٥٠م استمرت أحد عشر يوماً انتهت بهزيمة مروان الذي انسحب بعد المعركة باتجاه الموصل لكن المدينة أغلقت أبوابها في وجهه مما دفعه إلى الانسحاب نحو حزان مقره السابق، إلا أن الجيش العباسي ظل يطارده فانسحب إلى حمص فدمشق فالأردن ثم فلسطين. وكانت المدن في البلاد تفتح أبوابها للجيش العباسي باستثناء مدينة دمشق التي دخلها العباسيون عنوة وعهد عبد الله بن علي إلى أخيه صالح بمطاردة مروان، بعد أن تجاوز الشام. ووصل مروان في غضون ذلك إلى مصر بعد أن تخلى. عنه أنصاره وتوقف في قرية بوصير الصغيرة في منطقة الفيوم حيث داهمته في الليل قوة عسكرية. وقاوم مروان حتى خر صريعاً، وانتهت بمقتله أيام دولة الخلافة الأموية، وكان ذلك في عام(١٣٢هـ/ ٧٥٠ م) .

وهكذا أسدل الستار على حياة أسرة حكمت دولة الإسلام ما يقرب من قرن من الزمن، حققت خلاله لأمتنا الإسلامية ما لا يمكن حصره من منجزات وعطاءات في مختلف ميادين الحياة، ويمكننا أن نعتبر أن العصر الأموي، هو العصر الذي تبلور فيه وهي عربي ظل متمكناً طالما احتفظ العرب بموقع السيادة في المجتمع